International Journal on Science and Technology (IJSAT)

E-ISSN: 2229-7677 ● Website: www.ijsat.org ● Email: editor@ijsat.org

د/ منير لعداسي جامعة الجزائر2

الخطاب الديني أداة لتحرير الشعوب العالمية من قيود الشبكة العنكبوتية(المداهنة و النفوذ المعنوي).

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الكشف على انتقال وسائل الإعلام من الهيمنة بالتخييل إلى الهيمنة بالتضليل حيث صارت الشبكة العنكبوتية أشبه بخيوط العنكبوت سيكشف بحثنا كيف كشف الله تعالى في سورة العنكبوت الخيوط الواهنة المتينة للعنكبوت و علاقتها بالأمن السيبيراني الذي تموقع بين فكي الفبركة و الذكاء الاصطناعي إن هذه الورقة البحثية ستكشف بعمق معالم الهيمنة بالضليل ، و أثرها على تقييد الوعي الجماهيري من خلال خطاب بوليفوني يكرس خاصيتي المداهنة و النفوذ المعنوي اللذان توقف عندهما مطولا مخائيل باختين.

Abstract:

This research paper aims to reveal the transition of media from dominance through imagination to dominance through representation, where the Internet has become like a spider's threads. Our research will reveal how God Almighty revealed in Surat Al-Ankaboot the weak yet strong threads of the spider and their relationship to cybersecurity, which is positioned between the jaws of fabrication and artificial intelligence. This research paper will deeply reveal the features of dominance through deception. And its effect on restricting public awareness through a polyphonic discourse that consecrates the characteristics of flattery and moral influence, which Mikhail Bakhtin dwelt upon at length.

مقدمة::

مما يعاب على البحوث العلمية الاقتباس في المقدمة لكن مع معاني القرآن يتحول هذا العيب من عيب إلى ميزة.

لا يفتأ الكتاب الكريم المنزل من الرب الرحيم مفاجأتنا في كل مرة بذخائره وكنوزه ومعجزاته ففي كل مرة من المرات يطلع علينا عالم من علماء الأمة أو من الأمة الغربية يصطاد درة من درر القرآن الذي هو محيط الدرر كما قال ربي ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ "[1] فالله جل و علا أعلم العلماء بعظيم قدرته و جلال سلطانه فالعالم البشري كلما تفقه و تدبر تواضع و تقهقر و مرغ أنفه في التراب إرضاء لقادر عالم لا يحتمل عقل بشري

مدى عظمته و ذلك إيمانا مني بقولي:

إذا نزفت حروف الشعر حبا وسال الحرف في القرطاس عذبا

و أضرمت الحرائق ملء صدري وراودني التأمل فيك ربا

رميت العقل أرضا با إلهي سيكفي أن لي قلبا محبا

فالمعجزات العلمية في القرآن تترى وتتابع الواحدة تلو الأخرى و كل معجزة علمية تنسينا في ما قبلها وتزيدنا إيمانا كما قال ربي " ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2] فالإيمان مرتبط بالعقل و القلب إيمان القلب بما لم يتحقق على الأرض من معجزات مثل الإسراء فالرسول صلى الله عليه وسلم سافر في ليلة أرضا و هذه المعجزة صارت ممكنة فالسفر مثلا صار متاح من مكة إلى القدس في دقائق معدودة أما إيمان العقل فهو التأمل و التدبر في آيات الله و سننه الكونية العظيمة موضوعي يدور حول معجزة أتى بها القرآن الكريم منذ 1446 سنة بالتقريب ألا وهي وضع العلاج لمرضى القلوب و العقول و الأبدان حيث قال ربي" وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ"

[1] القرآن الكريم : سورة الكهف الآية 109، ج 16 ص 304.
[2] المصدر نفسه : سورة الأنفال الآية 2 ج 9، ص 177

تحرير العقول من الشبكة العنكبوتية*[4](الداء و الدواء):[3]

انتشر في الآونة الأخير و شاع استخدام الأنترنت بشكل ملفت للانتباه و تكاثرت التطبيقات في الشبكة العنكبوتية و بإدراج الذكاء الاصطناعي في الهواتف و مواقع التواصل الاجتماعي صارت فضاءات الإنترنت بيوتا تتشابك فيها العوالم بخيوط كخيوط بيت العنكبوت فصار الناس عالقين فيها كما تعلق الفرائس في نسيج العنكبوت و كما يعلم الكل أن العالم الافتراضي صار يستقطب الناس حتى صار العيش فيه أكثر من العيش في الواقع وانتشر مرض إدمان الأنترنت و لواحقها حتى فتحت مراكز لعلاج مدمني الأنترنت الذين انقطعوا عن الحياة عن بيوتهم المتينة الآهلة ليلجوا بيوتا واهنة سرعان ما يتقطع بك أي خيط استمسكا به فيها.

جاء في سورة العنكبوت قول ربي:" ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [5] فالله جل في علاه تكلم عن هذه الظاهرة الراهنة -التي حيرت العقول و ستبقى تحيرها ما لم تقم بإعادة ضبط المصنع لحظة قراءة القرآن و التواصل مع الله - و المثال هنا مقصود حيث يقول الله تعالى " ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[6] فالأمثال الواردة في القرآن ليست بسيطة ساذجة ولكنها عميقة عظيمة و الله جل شأنه يعرف تأويل الضعفاء للأمثال حيث قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾"[7] فالله ربي أعلم بأمثاله منا منها ما تم تأويله ومنها ما يزال يتطلب دراسة ورسوخ في العلم ،

فهذه الأمراض السيبيرانية*[8] لا يتم التخلص منها إلا بدين حنيف كديننا دين أتى ليحررنا من كافة أشكال العبودية و نقلنا إلى عبادة إله غير مرئي ننسب له ما نسب لنفسه من صفات الكمال ليكون إفراده بالعبادة تحررًا من كافة أشكال الأمراض و الشهوات فالتوحيد الذي هو أساس الشريعة و أصلها هو مطلق الحرية و النقاء و الصفاء ، ثم الصلاة و هي لحظة الانعتاق من جميع الأمور الدنيوية و الإقبال على الله في لحظة يرمي بها المسلم خلفه براميل الهموم و المشاكل ليتلقى أكاليل النور من ربه لذلك قال أشرف الخلق محمد صلى الله عليه و سلم:" أرحنا بها يا بلال".

أما الغرب بنزعته المادية لا الروحية فهو يبني بوسائله إنسانا ضعيفا وكلما قاده علمه نحو التطور رافقه من بعد علمه سيرورته للهلاك فالعالم بعد الثورة الصناعية حصد من علمه الدمار و الحروب وملايين المتضررين من قتلى وجرحى ومشردين و أيتام و هو يجني الآن من ثورة العلوم التكنولوجية الأمراض النفسية بكافة أشكالها، فهو يسعى للهيمنة و النفوذ على الشعوب من خلال المداهنة لأنه يعاني من جنون العظمة يحاول تقمص الشخصية البطلة و سأقف بالشرح مطولا لمصطلحي المداهنة و النفوذ المعنوي لكشف القناع عن الوجه الحقيقي للغرب حتى يمكننا الحماية من المداهنة و النفوذ المعنوي اللذان توقف عندهما المنظر الروسي باختين[9] مطولا في كتابه شعرية دوستويفسكي[10].

---

[3] القرآن الكريم : سورة الإسراء الآية 82 ، ص 290.

[4] ( ):جزءاً فرعياً من الإنترنت يضمّ الصفحات والمعلومات التي يُمكن الاطلاع World Wide Web •*تُعدّ الشبكة العنكبوتية العالمية بالإنجليزية عليها من خلال متصفح الشبكة، كما يُطلق على الشبكة العنكبوتية اسم الويب وهو الاسم الأكثر شهرة لها أقرأ المزيد على موضوع .كوم: https://mawdoo3.com.سا15.30 2025/04/15

[5] القرآن الكريم : سورة العنكبوت، الآية 41، الجزء 20 ،ص 401.

[6] المصدر نفسه السورة نفسها الآية 43 الصفحة نفسها.

[7] المصدر نفسه : سورة البقرة الآية 26 ،ج1، ص 5.

[8] االأمراض السيبيرانية عكس الأمن السيبيراني فالأمن السيبيراني هو النشاط الذي يؤمن حياة الموارد البشرية من كافة المخاطر المحدقة بها معناه أن الأمراض السيبيرانية هي ما يترتب عن تقنيات التواصل السيبيرانية من مخاطر و مهالك للموارد البشرية : ينظر:دكتور بارة سمير: الأمن السيبيراني في الجزائر السياسات و المؤسسات، مجلةالمجلة الجزائرية للأمن السيبيراني، ع 4، سنة 2017 ، ص 257

[9] ميخائيل ميخايلوفيتش باختين ولد 1895 بمدينة أوريل ، التحق بكلية التاريخ و الفلسفة بجامعة نوفروسيبسك ثم غادرها ليلتحق بجامعة سان بيتر سبورج اكتسب ثقافته عبر دراسة الفلسفة الألمانية و الأدب الروسي توفي عام 1975 ترك عديدا من المؤلفات النقدية كالماركسية و فلسفة اللغة،

المداهنة والمفاهيم المجاورة لها:

المداهنة لغة:

ورد شرح كلمة المداهنة في القاموس المحيط في قول الفيروز آبادي "داهن بمعنى نافق والمداهنة إظهار خلاف ما يضمر كالإدهان ، الغش" فمفهوم المداهنة في اللغة يحمل معنى النفاق والغش وتزييف الحقيقة وإضمارها، وجاء في قوله تعالى ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[11] " فالله جل وعلا أفاض في القرآن الكريم الحديث عن المداهنة و النفاق و كيف يتلون المنافقون هؤلاء و ينتجون خطابا فالله جل وعلا حائز .بوليفوني لكنه بعيد كل البعد عن الحق قال تعالى " ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [12]" بالسبق تفضيلا و تفصيلا و سنعرض في ما يلي ترسانة من الآراء النقدية التي تحددت عن التعدد الصوتي في الرواية هذه الخصائص سبق الله إليها عباده ما يؤكد جمال وروعة القرآن و إعجازه فالبوليفونية التي سبق إليها باختين وكانت مهدا لنظريات الجملة و النص و الخطاب وفلسفة اللغة نجدها مفصلة في آيات قرآننا الكريم.

2.2 المداهنة اصطلاحا:

تعد المداهنة مصطلحا من المصطلحات التي توقف عندها باختين بالتعريف والشرح في حديثه عن سمات البطل البوليفوني حيث يعرفها قائلا :"المداهنة تجعل كل تعريفات البطل لذواتهم قلقة والكلمة فيها لا تتشبث بمعناها وهي مستعدة لأن تغير في آخر لحظة نغمتها ومعناها الأخير وكأنها حرباء"[13] . فالمداهنة في المنجز الباختيني متعلقة بحديث البطل عن ذاته، هذه الذات التي تظل مبهمة لا تستقر على صفة معينة، فهي تتأثر بالأحداث وتتطور وتغير من قناعاتها لدرجة تجعل منها أشبه بالحرباء التي تغير لونها في كل مرة. سبق الله تعالى إلى هذا المعنى بوصفه للمعرض عن هداه قائلا: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأنعام: 125]. فالقلق الزائد وعدم الراحة مشترك بين البطل في الرواية البوليفونية وبين الكافر الذي يتقمص دور البطولة في القرآن الكريم فكلاهما في حيرة من أمره مشوش مشرد في هذه الحياة يبحث عن الحقيقة و لا يصل إليها أعمى البصر و البصيرة إن هو كالأنعام أو أضل منها سبيلا.

يستطرد باختين قائلا :" إن المداهنة تجعل البطل مزدوج الدلالة ولا يمكن الإمساك به حتى لنفسه هو بالذات ومن أجل أن يشق طريقا إلى نفسه عليه أن يذلل طريقا طويلا، إن المداهنة تشوّه بعمق موقفه من نفسه " [14] قال الله تعالى :" يخادعون الله و رسوله و ما يخدعون إلا أنفسهم و ما يشعرون "[15] فهم هؤلاء الأبطال في نظرهم و نظر غيرهم هي شخصيات تسعى لبلوغ البطولة لكنها لا تصل إليها لأن تنكر الطريق الواضح و الفكرة المكتملة (الحق) و تتبع الايديولوجيا الصياغية (الباطل)،يلح باختين في حديثه عن المداهنة على ضرورة جعل البطل غير مفهوم حتى لنفسه وغاية ذلك أن يكون البطل غير جاهز في فكر المؤلف، الذي يكون محايدا في النص، لأن ميلاد الشخصية في فكر الروائي يولد مع لحظة الإبداع فهو غير مفكر فيه مسبقا، فيكون البطل بذلك مداهنا مراوغا يحاول البحث عن ذاته وقناعاته التي تتغير، شأنه في ذلك شأن الإنسان على أرض الواقع، تحدده القناعات وتحوله السياقات.

المفاهيم المجاورة للمداهنة:

يتجلى من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي أن للمداهنة كما هائلا من المصطلحات الأدبية المجاورة لها

جمالية الإبداع اللفظي ، الفرويدية...،ينظر ميخائيل باختين : الفرويدية ، تر: شكير نصر الدين ، رؤية للنشر و التوزيع، ط1،2015، ص ص 12،14.

[10] اعتمد باختين في كتابه شعرية دوستويفسكي على عدد من الروايات التي كتبها هذا الروائي من بينها الجريمة والعقاب التي نالت أكبر قسط من الدراسة، بالإضافة إلى رواية الإخوة كارامازوف ، والأبله،وحلم إنسان تافه.

ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي، ص:10

[11] القرآن الكريم سورة القلم ، الآية 9 .
[12] القرآن الكريم : سورة الإسراء الآية 48
[13] ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي ، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص: 340.
[14] المرجع نفسه، ص: 330
[15]

الغموض /Ambiguïté:

يرى سعيد علوش في معجم المصطلحات الأدبية أن الغموض " طبيعة الخطاب اللغوي أو أي نظام دال يمتلك عند متلقيه أكثر من معنى ويستحيل تأويله بدقة ... كما يرجع سببه لتعدد القراءات والتأويلات والمقاصد" [16] من خلال هذا التعريف يتقاطع كل من الغموض والمداهنة في فكرة تعدد الدلالة التي تمنع المتلقي من فك شفرة الخطاب وحصره في دلالة ثابتة وهذا ما يجعله منفتحا على القراءات المتعددة وعلى تعدد الأصوات و هذا ما يؤكده باختين في معرض تحليله لرواية الإخوة كرامازوف حين يقول:" "إن كل أبطال دوستويفسكي منحوا حكمة السماء و تأملوها ولدى كل واحد منهم أفكارا عظيمة غير قابلة للحل ،وإن كل واحد منهم يشعر بالحاجة إلى أن يجد حلا لأفكاره" . فالغموض يحيط بالبطل لأنه يمتلك عديدا من الأفكار الغامضة التي تبحث عن الحل، هذه الأفكار التي تتفاعل فيما بينها رافضة الركون لحل يرضي قناعة البطل، و يطلق عليها باختين الايديولوجية الصياغية و يؤكد أنها أساس رؤية دوستويفسكي للعالم و تصويره له، و تتميز هذه الإيديولوجية بكونها تستغني عن عنصرين تتسم بهما سائر الايديولوجيات الأخرى، وهما الفكرة المعزولة { اليقينية} والقناعات التي تقيم الفكرة صائبة أو خاطئة . و يضيف باختين في إطار شرح مفهومها قائلا :" فهي لا تعرف الرأي المنعزل بذاته و لا الوحدة النظامية لأن الدلالة الملموسة فيها تندمج اندماجا كليا مع موقف الشخصية"[17] . بالتالي تكون المداهنة نتيجة للغموض الذي يحيط بالشخصية فأفكارها العميقة تجعل منها ذاتا فاعلة في حدود العمل الأدبي .

التناقض / Contradiction:

ورد في معجم المصطلحات الأدبية أن التناقض هو " الوقوع الدائم في الخطأ من وجهة المضمون الذي يعتبر كالحشو عند النطق لافتقاده الدلالة"[18] فالتناقض من زاوية الفهم هذه مرتبط بجملة من الخطابات المنطوقة التي لا تقود المتلقي للوصول إلى الدلالة فتجعل مرسل الخطاب في حيرة سيكولوجية تؤثر على فهم المتلقي، الذي يجد تناقضا في المنطوق. ويرى سعيد علوش أن "خطأ التناقض لا يتولد عن علاقته بالأحداث ولكن عن علاقته بالكود اللساني، كمثال المرأة ليست المرأة هي الرجل ويعد التناقض هنا غير سيميائي"[19] .ويعرف [20]. "محمد التونجي التناقض بوصفه:"اختلاف قضيتين بالسلب والإيجاب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى

من خلال هذه التعريفات يتقاطع الغموض مع المداهنة في كون البطل يكون مداهنا إذا وقع في التناقض، لأنه يجعل القارئ في حيرة بين قضيتين إحداهما صائبة وأخرى خاطئة فيحتاج حينها إلى تحليل مواقف البطل المختلفة في النص حتى يصل إلى الحكم النهائي، ويرتبط التناقض في الطرح الباختيني بفكر البطل حيث يقول :" تكتسب الفكرة بعد أن تفقد انجازيتها المونولوجية والنظرية المجردة... تعقيدا على درجة كبيرة من التناقض و تعددا حيا في وجوه الفكرة "[21] فدوستويفسكي عمل على دمج التناقضات في الرواية ليصل إلى تعدد الأصوات لذلك قال فيه باختين :"إنه يبدو أنه واصل كل فكرة من هذه الأفكار البعيدة عن بعضها البعض ... إلى أن التقت جميعها في نقطة تقاطع حواري" وبذلك يكون التناقض مجاورا للمداهنة لأنه يجعل البطل في حيرة سيكولوجية قوامها تناقض الأفكار المحيطة به و التي ينقلها كما هي دون أن يقر صوابها من خطأها .

النفوذ المعنوي ودوره نجاح الشخصية المنافقة في الإقناع.

النفوذ لغةة

جاء في المعجم الوسيط:" النفوذ القوة والسلطان فيقال فلان ذو نفوذ وسلطان ومناطق النفوذ البلاد الضعيفة التي تبسط عليها الدول الكبرى سلطانها [22]" . فالنفوذ في اللغة مرتبط بالقوة والسلطة ويبدو التعريف اللغوي مقاربا لما يقصده باختين حيث يجعل الشخصية تمتلك السلطة وتمتلك الحرية والاستقلالية في حدود العمل الإبداعي.

---

[16] سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت وسوشريس،الدار البيضاء، ط1، 1985،ص: 158.

[17] ميخائيل باختين : شعرية دوستويفسكي: ص 123.

[18] سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص 131،

[19] المرجع السابق : ص 132

[20] محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان، ط1999،2،ص:285.

[21] ميخائيل باختين : شعرية دوستويفسكي: ص: 218

[22] المرجع نفسه : ص : 130.

22 إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية مصر، مج 1، ط4، 2004،ص :939.

النفوذ المعنوي في المنجز الباختيني :

اعتمد باختين في تحديده لمفهوم النفوذ المعنوي للبطل في كتابات دوستويفسكي على تصويب آراء عديد من الدارسين ممَّن تتنوع مشاربهم الثقافية خاصة أن التنوع في نصوص دوستويفسكي جعل كل ناقد منهم يجد ضالته، وبالتالي صار الحديث عن دوستويفسكي حديثا عن دراسات متشعبة ذات توجهات فكرية وفلسفية مختلفة، هذا التنوع الذي يجعل دوستويفسكي ينقل عبر أبطاله جوا من الجدال والصراع، إذ يتمتع كل بطل بالنفوذ المعنوي الذي يمكنه من إبراز مفاهيمه أو صقلها وتطويرها استنادا إلى مفاهيم سائر الأبطال[23].

وبالتالي لا ينتج دوستويفسكي عبيدا داخل نصوصه يسيرهم تبعا لإرادته، بل ينتج أبطالا لهم وجهات نظر وأفكار خاصة بهم. ولا يتدخل في شؤون أبطاله، وإنما يكون مسجلا فقط لما يدور من أحداث، فحتى أبطاله يمكن أن يخالفوه الرأي، بل حتى أنه يمكنهم الثورة في وجهه .فأبطاله أناس أحرار مؤهلين للوقوف جنبا إلى جنب مع مبدعهم، قادرين على أن لا يتفقوا معه، بل حتى أن يثوروا عليه [24] هذه الايجابية و القدرة على فهم الآخرين ميز بها الله عبده و خليله ابراهيم حيث جعله عبقري مسلم قادر على فهم الناس كل على حدى حيث قال الله تعالى :" ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ."[25] فإبراهيم الخليل بلغ به القدرة على فهم الآخرين حتى أنه جادل الملائكة في قوم لوط الذين كانوا على فاحشة عظيمة حتى أمره الله بالإعراض عن ذلك لأن العذاب غير مردود عنهم وهذه هي البطولة الحقيقية النظر إلى الأمور من زوايا متعددة و التماس الحجج و الأعذار للآخرين وفهم كل ذات غيرية.

إن البطل في روايات دوستويفسكي له كلمته الخاصة ويتمتع بالاستقلالية، فهو متحرر من سلطة المؤلف، وبناء عليه يسعى الأبطال إلى تأكيد ذواتهم، ما يعزز النزعة الانفصالية الخاصة بوعي البطل، ونزعة انطوائية داخل عمله الشخصي . لأن البطل أصبح ذاتا فاعلة وخرج من كونه موضوعا، وهو ما يعزز فكرة المغايرة والغيرية في الكتابة الدوستويفسكية.[26]

فاستنادا إلى نفوذ البطل المعنوي تصبح طريقة تقديم السرد في روايات دوستويفسكي مختلفة عن الروايات ذات البناء التقليدي، فالمادة التي تقص وتخبر وتصور، هي الكلمة التي تتشاطرها ذوات مختلفة،لكنها متساوية الحقوق فلا يهيمن فيها طرف على الآخر، ولا يستعلي فيها فكر على فكر، هي عبارة عن إيديولوجيات تتصارع وتدافع عن تفاصيلها حتى النهاية، قال الله تعالى : "﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[سورة يوسف: 102] فالله تعالى أشار إلى هذه الفكرة مع إخوة يوسف عليه السلام حيث أجمع إخوة يوسف الأحد عشر على كلمة واحدة وهي إلقاء يوسف في الجب فبعد تضارب الآراء حول قتل يوسف وطرحه أرضا وو أجمع الاخوة على إلقاء يوسف في الجب و الله تعالى أدرى بحسن الأسلوب وجمال السرد حيث يقول " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ" سورة يوسف الآية 3 فجمال الحكي في القرآن و الرواية البوليفونية يقتضي أن يكون هذا التعارض والاختلاف في المادة الحكائية يجعل البنية السردية ذات خصوصية معينة تمنحها شيئا من الجدة، بوصفها تخالف ذلك التجانس الذي كان يطبع عناصر البنية السردية في النمط المونوفوني Monophonique لأن النمط الجديد أضحى عبارة عن خليط من مواد متنافرة وهو ما يقول عنه تودوروف التضاد والموقف المضاد للفكرة والاختلاف ويتحدث باختين قائلا: "إن كثرة الأصوات وأشكال الوعي المستقلة وغير الممتزجة ببعضها البعض وتعددية الأصوات الأصلية للشخصيات الأصلية كاملة القيمة كل ذلك يعتبر الخاصية الأساسية لروايات دوستويفسكي، ليس كثرة المصائر داخل العمل الموضوعي هو ما يجري تطويره في

اعتمد باختين في كتابه شعرية دوستويفسكي على عدد من الروايات التي كتبها هذا الروائي من بينها الجريمة والعقاب التي نالت أكبر قسط من الدراسة، بالإضافة إلى رواية الإخوة كارامازوف ، والأبله،وحلم إنسان تافه.

[23] ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي، ص:10.

[24] ينظر: المرجع نفسه ، ص ص: 17- 18

[25] القرآن الكريم : سورة النحل الآية 120.

[26] ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي، ص:10..

روايات دوستويفسكي، بل أشكال الوعي المتساوية الحقوق مع مالها من عوالم... إن للأبطال كلماتهم الشخصية ذات القيمة الدلالية الكاملة". "[27]

أعاب باختين -في إطار حديثه عن النفوذ المعنوي- النظرة السطحية للنقاد الذين درسوا دوستويفسكي قبله، والذين لم يقفوا على النفوذ المعنوي لأبطال دوستويفسكي استنادا للفروق بينها وبين طبيعة الأبطال في الفكر المونوفوني، وإنما اقتصروا على دراسة الجانب الموضوعاتي لتلك الأفكار المختلفة، ونظروا إلى الأبطال بوصفهم حالات عقلية، وصنفوهم في خانة الكتابة التقليدية القائمة على التفلسف، ما يجعل الأبطال عبارة عن حالات مرضية ..من بين هؤلاء النقاد "سار روزانوف Rosanov Sarr /، "فولينسكي Volynsky " /، شيستوف Shestov " /وآخرون، يقول :"ولهذا السبب فإن جميع الدراسات الكبيرة المكرسة لدوستويفسكي التي سارت في طريق إسباغ الطابع المونولوجي الفلسفي على أعماله الأدبية ،هذه الدراسات التي لا تقدم إلا القليل عن الخاصية البنيوية المصاغة من قبلنا، الخاصة بعالمه الفني حقا إن هذه الخاصية هي التي ولدت كل تلك البحوث". "[28]

الذي ربط إبداع Gislav Ivanov /كما يرجع باختين بداية النقد الواعي لأعمال دوستويفسكي إلى "جيسلاف ايفانوف دوستويفسكي بالأبطال الذين يسعون إلى تأكيد وعيهم وتقديمه بوصفه وعيا يخصهم ولا يخص مؤلفهم، ومنه يحدث ما يسمى بالنزعة الانفصالية في الوعي، تبرز في شكل مجموعة من الأفكار المتناقضة في النص، والتي لا تلتقي في مفهوم يؤلف فيما بينها شأن السرود القديمة، لكن ما يعيبه باختين على جيسلاف ايفانوف أنه ربط هذه الثيمة بالجانب الديني الأخلاقي العقائدي، لذلك ابتعد عن طرح التعدد الصوتي الذي تتميز به الرواية[29] .

إلى مساءلة المضمون الذي يجعل الأبطال يختلفون في Escoldov /كما قاد استقلال الشخصية ونفوذها المعنوي الباحث إسكولدوف مسلماتهم الفكرية، معناه أن المضمون هو من يساعد على تناقض الطروحات، ومن بين المضامين التي تتيح توفر هذه الخاصية "الجريمة "التي تسمح بإثارة النقاش حول الحياة بصفة عامة، ثم النظر في الأجواء والظروف التي صنعت المجرم والأسباب التي تسببت في حدوثها، وكذلك موقف من يجهل تلك المعطيات ويركز على الجريمة بوصفها سلوكا منحرفا، كما لاحظ اسكولدوف من خلال هذه المضامين الاستقلالية المدهشة لأبطال دوستويفسكي الذي بالغ في النفاذ إلى أعماق شخصياته وتقديمها دون أن يتدخل في شؤونها، إلا أن ما يعاب على اسكولدوف أنه عاد ليسبغ الطابع المونولوجي على دوستويفسكي عندما ربط نزعة أبطاله بعقيدته[30].

إلى نتيجة هامة في دراسات إبداعات دوستويفسكي حيث يرى أنه يخرق الوحدة العضوية Grossman /كذلك توصل جروسمان للمادة،وينتج مادة جديدة تقوم بصهر جملة من المواد المتنافرة في كيان جديد يمثله الرواة ويقصد بذلك التنوع الكلامي والتباين الأجناسي في الرواية، فدوستويفسكي استطاع أن يتوغل ويسبر شخصية المثقف العادي المنحدر من عامة الشعب بالتالي يشكل دوستويفسكي رواية تقوم على تفاعل التنوع الروحي داخلها، وهذا خرق لقانون الفن السائد آنذاك القائم على التجانس والوحدة بين عناصر البنية، ويحاول صياغة رواية من مواد خام مصدرها المجتمع، حتى يجعل نغمته وأسلوبه شخصيين[31] .

ويؤكد باختين على أهمية هذا الطرح لكنه يعده غير كاف، لأن الوحدة والتنوع والمواد المتنافرة غير كافية لبناء رواية متعددة الأصوات،إذ هناك روايات قبل دوستويفسكي قائمة على التنوع، لكنها لا تبرز بوصفها مستقلة بل تبقى تحت هيمنة وحدة الرؤية والأسلوب، وهيمنة فكر الراوي الذي يطوعها ويكيفها حتى تتلاءم مع أفكاره، في حين دوستويفسكي يجعل هذه المواد المتنافرة عوالم قائمة بذاتها تصنع نفسها، وكأنه قُدِّر لها ذلك، فيُفتَقَدُ أسلوب الراوي ولا نشعر به، لذلك يقارن باختين دوستويفسكي بإنشتاين لأن كليهما ذو نظرة معقدة تتوافق والكون المعقد، فهما بمثابة مجموعة من عقول مختلفة يحملها رأس واحد[32] .

يثير جروسمان كذلك قضية أخرى إلى جانب التناقض، الحوار وبالضبط الحوار الدراماتيكي، فيقول : "يقوم دوستويفسكي بصهر ودمج العناصر المتعارضة، إنه يتعدى بقوة القانون الأساسي لنظرية الفن وتنحصر مهمته في تدليل أعظم عقبة تعترض طريق الفنان، خلق

[27] نظر: المرجع نفسه ، ص ص: 17- 18.

[28] ميخائيل باختين: شعرية دوستويفسكي، ص ص 10،11.

[29] المرجع نفسه : ص 15.
[30] المرجع نفسه، ص: 22.
[31] ميخائيل باختين : المرجع السابق ، ص ص: 16– 22.
[32] ينظر :المرجع نفسه، ص ص: 27 – 30.

كيان فني موحد متكامل من مواد متنافرة وغريبة عن بعضها البعض، ولهذا نجد سفر أيوب وإلهام القديس يوحنا والأناجيل، وكلمة سيمون ، والمشاهد السوقية المبتذلة، كل ذلك ينصهر في حمأة أسلوبه " Parody" اللاهوتية، تندمج بصورة فريدة مع النكتة والمحاكاة الساخرة "الإبداعي ويندمج في مركب جديد يطبع نغمته وأسلوبه الشخصيين".[33]

لكن باختين يعتبر ذلك من أكثر الآليات مونوفونية بوصفه نابعا من ذات واحدة، لذلك فهو إن أدى دورا في الرواية المتعددة الأصوات فلن يعدو كونه دورا ثانويا ، إذ يرجع ذلك إلى أن المواد المتنافرة منبعها الشخصيات المستقلة ذات النفوذ المعنوي وليس المؤلف دوستويفسكي.

الذي يشير إلى تعدد المواقف الأيديولوجية المتعادلة النفوذ ،إذ تجد كل من هذه الشخصيات Otto Kaos /وحلل باختين آراء أوتوكاوس ما تستند عليه، فهو يجعل من دوستويفسكي أشبه برب المنزل الذي يتحاور مع ضيوف مختلفي التفكير، مع المحافظة على نفس التوتر القائم بينهم ، فيصبح حسب كاوس فكر دوستويفسكي ذا طاقة معادلة لاستيعاب الرأسمالية العوالم المختلفة، إذ تجعلها جميعا تتصارع تحت وطأتها بوصفها نظاما جامعا لهذه العوالم التي تتعايش بشكل أعمى داخل النظام، وبشكل غير مفكر فيه.

لذلك يجعل باختين الرواية البوليفونية مرتبطة بالنظام الرأسمالي الذي ظهر في روسيا بطريقة مفجعة، حتمت على المجتمع إعادة تكييف ذاته مع نظام جديد ومعطيات جديدة، فالرأسمالية في روسيا كانت الحرب التي يقودها كل فرد ضد الآخر، فهي تشبه إلى حد بعيد قانون الغاب وقانون الطبيعة القائم على بقاء الأقوى .

غير أن باختين يكشف كيف أهمل كاوس الحديث عن تكييف الرأسمالية في قالب فني،ولم يتحدث عن قيمة العمل الأدبي الذي يصوغ الواقع والمعطيات في قالب أدبي فني وفي شكل حكاية تنم عن إحاطة دوستويفسكي الأدبية بالمعارف المختلفة أولا، وبراعته ثانيا في جعلها ضمن مادة حكائية مشوقة.[34]

وفي معرض الحديث عن النفوذ المعنوي الذي يخلق شيئا من التنافر في بنية النص، رأى باختين أن حاول الكشف عن صلة ما تربط إبداعات دوستويفسكي خارج الرواية الواحدة، والمحور الواحد، فهو Komarovich/كوماروفيتش بالتالي حاول الكشف عنه بطريقة مونولوجية،يسعى من خلالها إلى البرهنة على أن دوستويفسكي تحت وطأة الفعل الإرادي يبني مجموعة متنافرة ومختلفة، لهذا يرى باختين أن خطأ دوستويفسكي يكمن في الجري وراء إعادة توحيد عوالم مختلفة منتهاها في الأخير هو الأنا الإنسانية، هذه الأخيرة التي يكشف عنها الاختلاف أكثر من الوحدة والانسجام .

الذي يرتكز فهمه للنفوذ المعنوي على استكشاف العوامل Engelgardt /ومن النقاد الذين لفتوا انتباه باختين كذلك انجلجاردت الاجتماعية والثقافية التي تنتج فكر بطل روايات دوستويفسكي، هذا البطل الذي يصبح وجوده داخل العمل عبارة عن إيديولوجيا،تتمحور بطولته داخل العمل في إرساء إيديولوجيته التي تعجله موجودا بوجودها فهو لا يتجلى إلا عبرها، ويجري تفسيره للجدل الموجود في الرواية على أنه من روح واحدة، معناه أن الجدل عادي منجزٌ سلفا من قبل المؤلف.

إلا أن باختين يرى عكس ذلك كون هذا التناقض الموجود في الرواية يجري حلّه عبر الجدل الفكري، فليس الجدل هو أساس البناء الفني لروايات دوستويفسكي، ودليله في ذلك أن حلّ هذا التناقض لا يتم على مستوى مونولوجي للفرد بل يتم حله جماعيا، أي وفق تصور اجتماعي محض وهو ما يجعل دوستويفسكي ذا نظرة عميقة ومتشعبة في الآن نفسه، يفهم من خلالها التناقض الموجود بين طبقات مختلفة من الناس، لذلك يقول عنه باختين أنه استطاع أن يرى العالم ويصوره، هذه الرؤية تجعله ينتج أبطالا بشرا داخل العمل الفني، وليس شخصيات فنية، لذلك يعتبر دوستويفسكي موهوبا جدا لامتلاكه القدرة على فهم كل تلك الأصوات مرة واحدة .

الذي كان فهمه منصبا على الكيفية التي ينتج بها دوستويفسكي أصواتا Luna Jarsky/ومن بين القراءات كذلك قراءة لونا جارسكي متناقضة، تجسد المشكلات الحياتية التي تحدث في المجتمع، والمدهش في الأمر أن الروائي نفسه ينتظر مع قارئه ما ستسفر عنه المواجهة والنقاش، فالأحداث تصنع نفسها في معزل عن دوستويفسكي، ويعرض مقارنة بين تعددية الصوت عند هذا الأخير وشكسبير،

[33] ينظر :المرجع نفسه، ص ص 32- 33.
[34] ميخائيل باختين ::المرجع السابق ، ص ص: 33- 40.

فالاختلاف يكمن في كون شكسبير ينفلت منه الانفصال عن أصوات أبطاله نتيجة خضوع الكل لهيمنة طريقة بناء الحبكة على فكر شكسبير، فيكيف الجميع مع ما يتوافق معها ويخدمها عكس دوستويفسكي الذي يحافظ على الانفصال إلى آخر لحظة[35] .

ما يلاحظ من خلال نقد النقد الباختيني أن مقولة النفوذ المعنوي للبطل هي جوهر البوليفونية في روايات دوستويفسكي هذا النفوذ المعنوي الذي يتحقق للفنان الذي يتسم بالعبقرية والقدرة على الانشطار ذواتا مختلفة في العمل الفني ،كما نكتشف أن باختين يقف عند المصطلحات الجزئية بالشرح والتفصيل لأنها ذات دلالات عميقة تقتضي البحث والتقصي، بعد هذا الحرد من الأسماء الرنانة من النقاد و المنظرين حول كتاب دوستويفسكي الذي هو عبارة عن نسج خيال لروائي مبدع هو دوستويفسكي كان هؤلاء الروس سيسجدون سجدة احترام للقرآن الذي يقدم خطاب بوليفوني ينفد لكافة أطياف المجتمع صغار كبار نساء شيوخ أطفال إذ نجح القرآن من خلال ، فالنقد الذي توقف به مجموع النقاد الروس الخطاب الديني في فهم جميع الذوات و قناعاتها كيف لا و الله هو صانع هذه الذوات شخصيا خول الشخصيات في الرواية البوليفونية أشبه بكثير بعلاقة الله بعباده فهو لم يخلق عبيدا خاضعين بل ناس أحرار أرشدهم إلى الصواب وحماهم من الفتنة حيث قال ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[36].

خاتمة:

القرآن الكريم وصفة طبية ربانية للقضاء على الهيمنة بالتخييل عبر الهيمنة بالتمثيل و القضاء على الهيمنة بالتضليل عبر الهيمنة بالتنوير نحن حاليا في الهيمنة بالتخييل في طريقنا للهيمنة بالضليل عبر الذكاء الاصطناعي و الشبكة العنكبوتية مازالت خطوة مستقبلية تنبؤية لشكل آخر من أشكال الهيمنة مندرجة ضمن كتابي المخطوط تحت عنوان تحرير الشعوب العالمية من قيود الشبكة الصهيونية فالخضوع و الانقياد هو من المفروض لله الذي ليس كمثله شيء و بالتالي العقل يبحث عنه في كل شيء في الطبيعة في البحار في الثمار و الأزهار و بالتالي يعيش الإنسان مطلق الحرية فقد حرره من العبودية للبطن وشهوات الأكل عبر الصيام ، وحرره من هموم الدنيا بالصلاة و الخشوع فيها و حرره من الزنا و قيود النساء وحرر بصره بغضه عن المحارم و حرر أذنيه بسماع القرآن وحرره من الشبكة العنكبوتية قل فسيحوا في الأرض و دعاه لتأمل الواقع و الابتعاد عن أوهام الشيطان و الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات لكن الذين أمنوا و ليهم الله يخرجهم من الظلمات إلى النور و بالتالي القضاء على الهيمنة بالتخييل و التضليل عبر الهيمنة بالتنوير لذلك تعد الآية التي وردت في سورة العنكبوت معجزة علمية أخرى مضافة لجملة من المعجزات العلمية في القرآن و سيبقى القرآن بحر المعجزات البذي لاينضب ماؤه.

[35] ميخائيل باختين: المرجع السابق ص ص : 47 - 54.
[36] القرآن الكريم : سورة الشعراء الآية 4